ALWATAN

الوطن

يومية سياسية اقتصادية

رقم التسجيل: (CAWN 630)

الأديان والأفلام خيوط الضوء .. الجدل المستمر

البحرين أسرع دولة أبرمت «التجارة الحرة» أسواق

هجرت وطني من أجل الرياضة الرياضي

44 صفحة
200 فلس

العدد (235) الأربعاء 8 رجب 1427 هـ السنة الأولى

www.alwatannews.net

Wed 2 Aug 2006 - Issue no (235)

علي عبدالله خليفة .. الأنين والعطش

حمد العثمان

كاتب بحريني

عندما تكون الجائزة عالمية.. حتماً يكون المبدع عالمياً أيضاً، وعندما يكون المبدع عربياً . بحرينياً، ستكون الفرحة أيضاً عربية . بحرينية، هكذا يبدو لنا وهكذا تجاوز المبدع علي عبدالله خليفة بشعره حدود الوطن العربي الكبير واتجه صوب العالمية .. وهو جدير بذلك الموقع، وجديرة هي البحرين التي أنجبت منذ زمان ضارب في القدم نخبة من فطاحل الشعراء.

هذه المرة منحت الأكاديمية العالمية للشرق والغرب (بوخارست) شاعرنا الكبير واثنين آخرين من بين خمسين شاعراً مرشحين من جامعات ومعاهد ومراكز بحثية على مستوى العالم، جائزة الشرق والغرب العالمية الكبرى في الفنون ودبلوما الأكاديمية الشرفية للتميز في الإبداع، وكان رأي لجنة التحكيم أن الأعمال الثلاثة الفائزة تميزت بأداء فني رفيع، واختصت تجربة شاعرنا بالقول إنها تجربة شعرية ممتدة بتوهج لأكثر من أربعين عاماً، وما يشرفنا كذلك أن تقوم الأكاديمية المذكورة بترجمة كاملة لإعمال شاعرنا البحريني إلى اللغات الرومانية والفرنسية والانجليزية .

للشاعر علي عبد الله خليفة نتاجات كثيرة، إلا أن أفضلها برأينا ديوان أنين الصواري وعطش النخيل، وهما البداية الحقيقية له وقد ارتبط اسمه باسميهما ارتباطاً وثيقاً.

أنين الصواري.. هو أول دواوين الشاعر، كتبه في النصف الثاني من عقد الستينيات باللغة العربية الفصحى المطعّمة ببعض المصطلحات العامية، أهداه إلى الكادحين من أبناء الشعب البحريني، وفيما يبدو إلى رجالات البحر والغوص بصفة خاصة، ويحتوي على قصائد في قمة الروعة والجمال ومنها: الجرح الكبير . أنين الصواري . جرح في ضمير الليل، وكانت المقدمة موجّهة إلى القارئ ولخصها في التالي "هذه محاولات شعرية أولى، أتمنى لها أن تسقط إذا لم تستطع وحدها تقديم نفسها إليك"، عبارة تحمل قدراً رفيعاً من التواضع، لا نرى له مثيلاً هذه الأيام في ساحة الشعر المكتظة بالدخلاء، وأغلب ما يسمى شعراً ليس إلا ثرثرات تصمّ الآذان وتصدّع الرؤوس، وأحسب أن هذا التواضع الذي بدأ به شاعرنا هو الذي أوصله إلى القمة، ولو أنه بدأ متعالياً متغطرساً (من باب الافتراض فقط) لربما سقط كما سقط الكثير من أول السلّم، ولكنه بدأ كما يبدأ الكبار فدخل عالم الشعر من أوسع أبوابه.

عطش النخيل .. مجموعة من المواويل الشعرية المكتوبة باللغة العامية، صدرت في أواخر عام 1970، وإذا كان شاعرنا قد تحدث في "أنين الصواري" عن مهنة البحر (المدينة)، فإنه اهتمّ في جانب كبير من "عطش النخيل" بمهنة الزراعة (الريف)، وكلتا المهنتان تمثلان مصدري الرزق الوحيدتين للغالبية الساحقة من أبناء البحرين في مرحلة ما قبل ظهور النفط، وهذا يعني أن الرجل يوجه خطابه الشعري نحو القاعدة الأعرض في مجتمع المدينة والريف معاً.

وعطش النخيل .. تمتزج فيه الحكاية والمعاناة بالكلمة الصادقة والحكمة، ويظهر جلياً انعكاس التوجه السياسي عند خليفة على كتاباته الشعرية، فاعتزازه الشديد بالمحرق لم يكن (في تقديرنا) نابع من منطلق مناطقي، وانما للدور الوطني الكبير الذي لعبته المحرق خلال حقبتي الخمسينات والستينات، واهتمامه بالمدينة والريف معاً يعبر عن انتمائه لكامل الوطن دون اعتبار طائفي أو عرقي، وفضلاً عن ولائه الشديد للوطن، فثمة انتماء قومي عربي غير خفي عند شاعرنا كحال كل أبناء ذلك الزمن الجميل، إذ كان مولعاً وعاشقاً حتى النخاع للزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذي كان له نصيب طيب من الديوان.

الجائزة، إذاً، التي حاز عليها شاعرنا الكبير تعني بالنسبة لنا (نحن أبناء البحرين) الشيء الكثير، ذلك إننا كبلد ذي مساحة صغيرة ومحدود الإمكانات لا يمكن لنا أن نضاهي أو نتفوق على الأمم والدول النامية والمتقدمة في مجال العلوم والتكنولوجيا والطب أو في مجال غزو الفضاء أو الإنتاج الصناعي أو غير ذلك، لهذا من المهم أن نركز على المجالات الثقافية والفنون الراقية والرياضة ونحوها، وهي المجالات التي يمكن أن نرفع من خلالها اسم البحرين والوطن العربي عالياً في المحافل الدولية.

هنيئاً للشاعر العالمي علي عبد الله خليفة وهنيئاً لمملكة البحرين بهذا الانجاز الرائع.